المبحث الثالث

اليهود الخزر واغتصاب فلسطين

مر بنا في الفصلين الثاني والثالث ما جرى ليهود الخزر منذ سقوط دولتهم وتشردهم في الدول والأقاليم المجاورة، وما تعرض له اليهود الخزر من الشعوب المضيفة لهم نتيجة ردود الفعل الطبيعية للممارسات التي تقوم بها الجاليات اليهودية من استغلال رؤوس الأموال للسيادة على خيرات البلاد التي تحل فيها، والسعي للوصول إلى المفاصل السياسية وأماكن صنع القرار وتوجيه البلاد بالصورة التي تتلاءم ومصالحهم؛ حتى لو كانت على حساب تلك الشعوب ومستقبلها؛ ففي المجر وبعد أن تمتع اليهود الخزر بمستوى من الحرية وامتلاك المناصب في الجيش أو الحكومة، وبعد ما تملك أثرياء اليهود من الأراضي والمقاطعات نرى أن الملك أندريه الثاني يستجيب لضغط البابا في تحديد نفوذ اليهود الذين لم يلبثوا أن هاجروا إلى البلاد الأوربية.

وفي بولندا منح أمراء بولندا رعاياهم اليهود الحماية والرعاية وحرية العمل والتملك حتى مكن اليهود من السيطرة على منابع رأس المال وأروقة التجارة المهمة، إلى أن غدت البلاد

برمتهـا تحت سيطرة ورحمـة هؤلاء الأثريـاء المرابين الذين لم يستطـع الشعب كبت الحقد والعـداوة ضدهم، وعلى الرغم من استمـرار دعم السلطات البولندية لليهـود إلا أن روما المسيحية فعلـت مع بولندا كما فعلت مع المجـر؛ إذ كانت خشيتها واضحة من خلال الانتقاد الموجه للسلطات البولندية التي سمحت لليهود ببنـاء المعابـد العديدة والضخمـة، بالوقت التي تبـدو الكنائس المسيحية متواضعة بجانبها.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن نشاط اليهود السياسي أدَّى بالبـلاد إلـى التقسيم بين جيرانها وتشريـد اليهود كما هو الحـال في العقود السابقة كذلك، وفي روسيـا وأوروبا وكل مكان يهاجر إليه اليهود لن يستقيم لهم كيان أو يستقر لهم حال، فهم لا يستطيعـون أن يتعايشوا فيه مع البـلاد المضيفة لهم، إذ إنهم شعب له مواصفاتهـم العدائية ونظرياته الاعتلائية، وطموحاته في السيطرة والهيمنة على اقتصاد أي دولة يحل بها أتباعه.

وعلـى هذا فقـد تعرضت الجماعـات اليهوديـة في مناطق شتاتهـا لأنـواع كثيرة من المحـن، امتازَ قسم منهـا بالاضطهاد الدينـي والعرقي كما حصل في روسيا لليهود الخزر من محاولة الترويس وإجبارهم على اعتناق المسيحية، أو بمصادرة أملاكهم وأموالهم جراء إيقاع الدول المضيفة لهم بأزمات مالية كان سببها اليهود، أو بالمذابح الجماعية كما حصل لهم في ألمانيا وغيرها.

وكل هـذه دفعـت باليهود إلى تأسيـس الجمعيات والمحافل السريـة منها والعلنية التي تدعو إلـى وضع حلول لمشاكل اليهود مـع المجتمـع العالمي الشرقـي والغربـي، ووقف علـى رأس هذه الجمعيـات مقررون منهـم: تيودورهرتزل، واليهـودي الفرنسي دريفوس، وبلفور وغيرهم كثيرون جاؤوا بمقترحات ومشروعات لإنقـاذ وضع اليهود في العالم، وقد ساعدتهم بذلك جميع الدول التي كانت تعاني مـن ويلاتهم ومشاكلهم التي تلاقيهم كل يوم، وذلك ليس محبة بهم؛ بل بغية جمعهم في مكان واحد والتخلص ممـا تخلفه الجماعـات والجاليات التـي لم يتـورع كثيرون من تسميتها (بالطفيلية)، يقول عبدالرحمن شاكر:

«أمّـا القضيـة التي ظلت شغـل هرتزل فعـلاً فهي مصير اليهـود الخزر الـذي كان الترويس يمثـل مأسـاة حقيقية لهم، فلـم يجد الحـل إلا في انتحال شخصية الشعـب التاريخي الذي يقرؤون سيرته في التوراة، وهو شعب بني إسرائيل الذي لا ينتمي إليه هرتزل ولا غيره من الخزر، إلا أنهم يعتنقون عقيدته»[1].

وعلـى الرغم من موافقة أغلبيـة (٥٠٠ صوت) في مؤتمر صهيـوني حضره هرتزل على جعل أوغندا الوطن القومي لليهود إلا أن جمعيـة أحبة صهيون انسحبوا من المؤتمر، وأرسلوا إنذارًا إلى هرتـزل مؤداه (فلسطين و إلا فـلا)، والغريب هنا أن الذي

(١) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

أصروا على فلسطين هم الخزر الذين تبعدهم عنها كل الروابط والصلات الجغرافية أو التاريخية[١].

أما الأدوار التي أداها البريطانيون في خدمة اليهود وتمكينهم من اغتصاب فلسطين فهي تتمثل في المواقف السياسية التي وقّعها رجال الحكم في بريطانيا قبل أن يفكر اليهود أنفسهم في فلسطين. يقول الوزير البريطاني إيمري: «نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخاصة أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده وفرصته إلى السياسة البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال، ولضمان أداء دور المحطة للطرق الجوية من الشرق»[٢].

لقد وجد مفكرو اليهود مدخلًا باطلًا يدخلون منه إلى بوابة الاغتصاب والتعدي واحتلال أراض ليست لهم ولا لأسلافهم؛ يقول عبد الخوري حنا في كتابه (الحكم اليهودي على الدين والدنيا):

لقد انطلقت الحركة الصهيونية من التوراة ومن فكرة (أرض الميعاد) الواردة في التوراة لتضع هذه الفكرة موضع التنفيذ، فأي فرصة بين إبراهيم وموسى وأشعيا وبين حاييم وايزمان الذي قال أمام اللجنة الملكية البريطانية في أثناء

(١) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

مناقشة المسألة الفلسطينية عام ١٩٣٧م: «إن ميثاق الشعب اليهودي الحق هو وعد الله بأرض إسرائيل»، أو من هؤلاء وبين المتظاهرين اليهود عام ١٩٣٩م ضد (الكتاب الأبيض) البريطاني الذين حملوا لافتات كتب عليها: «التوراة، لا الانتداب البريطاني حقنا في هذه الأرض».

ويوضح شموئيل أتنفر في كتابه (الشعب اليهودي وأرض إسرائيل) نوعية العلاقة بين اليهود و(أرض الميعاد)، فيقول: «وليست علاقة اليهود بإسرائيل علاقة شعب بأرض بلا حياة، بقطعة أرض قابلة للسكن، وليست علاقة حب عادي للوطن، بل هي رباط روحي مقدس وحنين مغرق في القدم؛ ولئن عاش اليهود القرون خارج بلادهم فقد كانوا يتصرفون وكأنهم في إسرائيل».

لم يكن اليهود يريدون أرضًا ما، أي أرض ليقيموا دولتهم عليها، فقد رفضوا أن تكون الأرجنتين أو أي مكان آخر موطنًا لتلك الدولة.

و تمسكوا بـ (أرض الميعاد) الممتدة بين الفرات والنيل، فلا شك أن الدافع لهذا الاختيار والإصرار عليه كان دينيًّا، نذكر هنا أن رجال الدين اليهود خارج أرض فلسطين، يضعون في تابوت الميت من أتباعهم حفنة من تراب فلسطين المقدسة، دلالة على تمسكهم بهذه الأرض ورغبتهم بأن يكون قبرهم منها[1].

(١) حنا، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ – ٨٦.

إن تصريحات زعماء اليهود تؤكد بما لا يقبل الشك النوايا العدوانية اليهودية، يقول الإرهابي فلاديمير جابوتنسكي ١٨٨٠-١٩٤٠م: «يجب أن تكون فلسطين ملكًا لليهود... ومن الضروري خلق وضع (الأمر الواقع)، والتوضيح للعرب أن عليهم مغادرة أراضينا والرحيل إلى الصحراء». ويقول الدكتور شمشون يونيتشمان - عضو المجلس الصهيوني العام-: «لا يمكن للأجانب والعرب أن يجروا حساباتهم دون التفات إلى المالكين الحقيقيين، يجب أن يفهموا أن لا شرق الأردن ولا القدس هي بالنسبة لنا موضع أخذ ورد ومساومة، إنها ملكٌ وسوف تكون لنا».

إن الصهيونية العالمية هي التعبير الفعلي عن معتقدات اليهود المبنية في توراتهم وتلمودهم، فقد جاء في وثيقة سرية كشف أمرها (خريطة مملكة إسرائيل كما وضعها زعماء إسرائيل، ونشرت في جريدة الجيل الجديد في ٢٨ كانون الثاني ١٩٦١م ما يثبت أن دولة إسرائيل يجب أن تشمل العراق والشام و لبنان والأردن؛ فضلًا عن فلسطين أي سوريا الطبيعية وقسمًا من السعودية ومصر[١].

ويوضح هشام الدجاني في كتابه (اليهودية والصهيونية) دور بريطانيا في التخطيط لتوطين اليهود في فلسطين منذ العام

(١) حنا، المصدر نفسه، ص٨٦.

١٦٢١م، ودعا محام بريطاني يدعى هنري فينش في كتابه (العودة العالمية الكبرى) إلى تأسيس إمبراطورية يهودية عالمية في الأراضي المقدسة، وفي العام ١٧٩٤م أصدر ضابط بحري بريطاني يدعى ريتشارد برودرس كتابًا دعا فيه إلى تجديد (مملكة إسرائيل)، وفي العام التالي اقترح نائب بريطاني تبنَّى مشروع برودرس على أن حماية بريطانيا لمشروعات كهذه تجلت بصورة بعد استيلاء محمد علي على سوريا، حيث أدركت الحكومة البريطانية مدى أهمية (دولة فاصلة) بين مصر وبلاد الشام بالنسبة لمصالحها الإمبراطورية.

وفي١١/٧/١٨٤٠. كتب وزير خارجية بريطانيا بالمرستون إلى السفير البريطاني في إستانبول يحثه على إقناع السلطان بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين. وقامت الصحافة البريطانية بالدور الترويجي المطلوب، فكتبت التايمز ١٧/٧/١٨٤٠: «لم يعد الاقتراح الداعي إلى إسكان الشعب العبري فوق أرض أجداده تحت وصاية الدول الخمس الكبرى بمثابة انتظار المسيح؛ بل أصبح مسألة تستوجب النظر السياسي الجدي»، وكتبت صحيفة أخرى (غلوب) في العام نفسه: تقول: إن موضوع عودة اليهود إلى فلسطين «سيكون من الآن فصاعدًا من الأحجار الكريمة الثمينة في التاج البريطاني».

وفي عام ١٨٤٥م وضع الكولونيل البريطاني متفورد مشروعه الذي يدعو إلى استعمار فلسطين يهوديًّا تحت الحماية البريطانية، وجدد مساعيه ١٨٥٥م عن طريق شراء الأراضي في فلسطين، وتكررت في تلك الآونة حمى المشروعات البريطانية الداعية إلى استعمار فلسطين بوساطة اليهود، مثل مشروع اللورد أشلي عام ١٨٥٤م، ومشروع القنصل البريطاني في القدس عام ١٨٥٧م، ومشروع جين هنري دونانت عام ١٨٧٥م، وأيده في ذلك السير لورانس أوليفانت[١].

وتذكر المصادر أن أغنياء اليهود قد قدموا طلبًا إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني يطلبون فيه بيعهم مناطق واسعة في بحيرة طبرية لإسكان اليهود؛ إلا أن السلطان عبدالحميد الثاني رفض ذلك قائلًا: «لأن ينقطع جزء من جسدي خير لي من أعطي شبرًا من أرض فلسطين»[٢].

وفي القرن السادس عشر دعا ديفيد روبين اليهود بالهجوم على فلسطين واحتلالها بالقوة، إلا أن ضعف اليهود آنذاك

---

(١) الدجاني، هشام، اليهودية، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥. وإلفرد ليلنيتال، الأخطبوط الصهيوني، ترجمة: د. محمد الحسنيدار، العلم للملايين بيروت، ١٩٧٩، ص١٢-١٨.

(٢) محمد علي أورخان، السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده، العراق، الرمادي، ١٩٨٧، ص ٢٨١ – ٢٨٥.

وتفـكك أواصرهم الاجتماعية وعـدم امتلاكهم للقوة آنذاك لم تسمـح لأحد بالاستجابة لهذه الدعـوة، وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت هناك محاولة لاستغلال حملات نابليون على المنطقة واحتلال فلسطين لكنها باءت بالفشل.

أمَّا القـرن التاسع عشر فكان حافلًا بالممارسات والخطط الصهيونيـة والماسونية من خلال أروقة الدول الكبرى المحتضنة للجماعـات اليهودية التي تتبنـى جمع اليهود في وطن يتخلصون فيه من ممارسات اليهود التي طالما عانت منها تلك البلدان.

ويذهـب أسعـد رزوق في كتابه إسرائيل الكـبرى قائلًا: إن أعضـاء الجمعيـة اليهودية في لندن سارعـوا بالطلب من جورج أتشلي -الذي عرف فيما بعد باسم إيرل شافنسبري- أن يستعمل نفـوذه عند بالمرستون وجعل القنصليـة البريطانية مسؤلة عن الأمـور المتعلقة باليهـود، فأصبح من أهم الأمـور التي يجب أن تحققها القنصلية هو توفير الحماية لليهود في فلسطين، وتقديم تقرير عن اليهود في تلك المنطقة.

وكانـت المنظمـات اليهوديـة السابقـة علـى الصهيونيـة والمنظمـة الصهيونية نفسها مدينـة لصندوق اكتشاف فلسطين الـذي تأسـس في إنكلترا عـام ١٨٦٥م، وكان مسيحيو أوروبا ولا سيما إنكلترا مهتمين بالأرض المقدسة، فقد قدم هذا الصندوق

وهـؤلاء المسيحيون خدمة ممتازة للحركـة الصهيونية؛ فلم يتم اكتشـاف علـى أيدي بعض الأفـراد لأسباب دينيـة بحتة، وإنما كانـت هنـاك دوافع أخـرى؛ وفي وقت لاحق دعم هـؤلاء الأفراد الحركة الصهيونية وأوجـدوا تبرعات لها وغالوا في مناصرتهم للصهاينة حتى دعوا (الصهاينة المسيحيُّون)[1].

وفي عـام ١٨٨٢م ظهـرت في روسية حركـة يهودية عرفت باسـم محبو صهيون، وكان أعضاؤها من اليهود الروس الشباب الذيـن أرادو الهجرة إلى فلسطين بدافع الميول الدينية، والرغبة الوطنيـة في أن يكونو في فلسطين ويدافعوا عنها، فقد تأثر هؤلاء بأفـكار ليون بنسكر ١٨٢١-١٩٠٢م المنشـورة في كتابه (التحرر الذاتـي) ١٨٨٢م، وقامـوا ببعض الأعمـال نتيجـة للقمع الذي عانـوا منه في ظل السلطات القيصريـة ١٨٨٠-١٩٠٢م، و كانوا مخططـين أن يجمعـوا الأمـوال من أغنيـاء اليهود كـي يشتروا أراضـ في فلسطـين؛ لكـن السلطـات العثمانية وعـت نواياهم، وأصـدرت الحكومـة العثمانيـة قـرارًا عام ١٨٨٢م بمنـع إقامة السواح في فلسطين إلا بهدف الزيارة فقط.

وفي مـدة لاحقـة انقسمـت حركـة أحبـاء صهيـون إلـى قسمـين قبل أن تكتمل، بعد مؤتمرهم الـذي عقده أعضاؤها في

(١) رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، ص ٤٤ - ٤٤٥.

دروسكينكي عام ١٨٨٧م فاتخذ القسم الأول اتجاهًا دينيًّا بينما اتخذ القسم الآخر اتجاهًا سياسيًّا، أما أعضاء الاتجاه الثاني المسمى إخوة (بناي موشي) بقيادة أحدهم عام ١٨٨٩م حيث انتشرت أخويتهم هذه في بريطانيا وفي بعض الدول الأوربية الأخرى؛ فكان من بين أعضائها في المجتمع البريطاني صموئيل مونتاج صاحب أحد البنوك الكبيرة الخاصة في بريطانيا في ذلك الوقت، وأيليم هنري دافيجدور أحد المهندسين الكبار، وقد تقدم مونتاج بطلب إلى السلطان عبدالحميد بوساطة الأيرل روزبيري رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٩٤م لإعطاء فلسطين لليهود؛ لكن السلطان رفض الطلب، وقد أصبحت هذه الجمعية أكثر تنظيمًا عندما انضم إليها الكولونيل جولد سميث وأدخل إلى التنظيم طابعه العسكري، فأطلقت عليه بعض الصحف البريطانية اسم يشوع السبي الثاني، وقد قاده حماسه إلى رسم برنامج خاص للحركة، وكان هذا البرنامج يتضمن:

١- تعزيز فكرة الوطن القومي لإسرائيل.

٢- تشجيع اليهود على استعمار فلسطين والمناطق المجاورة لها عن طريق إنشاء مستعمرات جديدة ومساعدة المستعمرات الموجودة.

٣- إحياء اللغة العبرية وجعلها أكثر شيوعًا واستخدامًا وأهمية من أَي لغة أخرى.

٤- تحسين وتطوير الأوضاع الحضارية والفكرية والمادية لإسرائيل[١].

ويرى محمد عزة دروزه في كتابه (العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين) أن مراحلَ عدة دخلت فيها قضية اغتصاب فلسطين، بدأت في قرار الصهاينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بإنشاء دولة يهودية في فلسطين وقد سبق هذا القرار محاولات تهجير عناصر يهودية من أوروبا وتوطينهم في فلسطين وتشجيع البريطانيين لهذه الهجرة ومساعدة اليهود وإغرائهم بذلك.

وقد تزامن هذا الأمر مع نشوء إمبراطورية عربية إسلامية تحت ولاية محمد علي في مصر الذي استولى على بلاد الشام وزحف على بلاد الأناضول، وهدد عاصمة الدولة العثمانية التي سارعت هي الأخرى بطلب المساعدة من روسيا، مما أزعج البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يطمعون في أقسام من الدولة العثمانية، الأمر الذي دفع الدول الأوربية إلى عقد مؤتمر يدعو محمد علي إلى سحب جيوشه من الأناضول مقابل ولايته على الشام طيلة حياته، ولما تلكأ وسعَّت إنذاره إلى سحب جيوشه من الشام أيضًا واقتصار ولايته على مصر فقط، وهذا

(١) حداد، مهنا يوسف، (دكتور) الرؤية العربية اليهودية، منشورات ذات السلاسل الكويت، ١٩٨٩، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

ما الحـدث شجع بريطانيا على التفكير جديًّـا بمساعدة اليهود للهجـرة إلى فلسطـين وإنشاء بعض المستعمـرات فيها، بحيث تكـون هذه المستعمـرات حاجزًا بشريًّا يمنـع اتحاد مصر ببلاد الشـام، وبالوقـت نفسه تكـون هـذه المستعمرات نـواة لتأسيس الدولة اليهودية في فلسطين.

وبعد ذلك بنحو عشرين سنة نشطت جماعة تسمي نفسها (محبـو صهيون)، وقد عملت هذه الجماعة على شراء الأراضي في فلسطـين وتهجـير اليهـود من أوروبـا إليها أيـام كان اليهود يتعرضون لمصـادرة ممتلكاتهـم وأموالهـم في أوروبا، وحظيت هذه بمساعدة (آل روتشيلد) في بريطانيا وفرنسا، وهؤلاء كانوا يملكـون أكبر المصـارف المالية في أوروبا والغـرب، وقد تم فعلًا شـراء كثيرٍ من الأراضي في السواحل الفلسطينية وما بجوارها، وإنشـاء المستعمرات اليهودية عليها، وهـذه الحالة أثارت الرأي العـام الفلسطينـي؛ فتقدموا بطلبـات ومضابط إلـى السلطات العثمانيـة يطلبون فيها وقف هجرة اليهـود واستيطانهم، وفعلًا أصدرت السلطات العثمانية تعليمات بمنع تملك اليهود الأراضي وعدم السماح لهم بالإقامة لأكثر من ثلاثة أشهر.

لكـن الجهـود المستمرة مـن اليهـودي النمسـاوي هرتزل وغـيره من زعمـاء اليهود القادمين من شـرق أوروبا استطاعت

أن تجمع زعماء اليهود ومثقفيهم في مؤتمر عام ١٨٩٧م، وكان هذا المؤتمر يدعو إلى وضع مخرج للمأزق الذي يعيشه اليهود الأوربيون؛ إذ استحال عيشهم بين الملل الأخرى نتيجة انغلاقهم ومواقفهم التي تحملوا من جرائها مطاردتهم ومصادرة أموالهم والاعتداء عليهم، وهذا المؤتمر لم يكن قد عين فلسطين حصرًا؛ بل كان هناك خيارات أخرى لإنشاء وطن قومي لليهود؛ إما من الأرجنتين، أو أوغندا، أو أفغانستان، أو فلسطين؛ غير أن أغلبية المؤتمرين قرروا أن تكون فلسطين هي المكان التي تنشأ فيه (الدولة اليهودية).

ولقد كان لهذا المؤتمر بقراره هذا وبما قرر إنشاءه من اللجان والتنظيمات السياسية والاقتصادية والإعلامية، وما صار له من اجتماعات سنوية أثرًا قويًّا في إبراز المطامع الصهيونية في فلسطين، وبذل الجهود الكبيرة المتنوعة في سبيل تحقيق القرار الذي قرره بما لا يقاس عليه ما كان من حركات ومحاولات قليلة؛ لأنه صار حاسم الاتجاه والجهد والهدف، ولقد أخذ أركان التنظيم السياسي يسعون مع الدول الكبرى للحصول على تعضيدها، وقد توزعوا الأدوار؛ فكان منهم من يسعى لدى قيصر روسيا، ومنهم من يسعى لدى إمبراطور ألمانيا، ومنهم من يسعى مع الحكومات الإنكليزية والفرنسية والأمريكية، وكان هرتزل طيلة السنين التي عاشها بعد المؤتمر الأول -توفي

١٩٠٤م- اللولب والقطب في كل ذلك، وقد ركز مساعيه خاصة في الحكومة العثمانية صاحبة السيادة والحكم في فلسطين؛ بل كانت مساعيه ومساعي رفاقه من الدول الكبرى الأخرى بقصد الاستعانة بها وتأثيرها على هذه الحكومة في سبيل الحصول على إذنها بهجرة اليهود إلى فلسطين، وإنشاء كيان يهودي فيها، ولقد استطاع مقابلة السلطان عبدالحميد الثاني وطلب منه ذلك على أن يكون ذلك الكيان تحت سيادة الدولة وقوانينها، وأغراه باستعداد اليهودية العالمية لمساعدة الدولة ماليًّا وسياسيًّا، ولكن السلطان رفض العرض رفضًا قاطعًا قائلاً: إن فلسطين ملك للمسلمين ولا يمكن بيعها.

ولقد حاول (هرتزل) أن يجد طريقًا إلى استعمار قبرص أو سيناء؛ لتكون محطة قفز إلى فلسطين في الفرصة المناسبة، ولكن محاولته تعثرت بفرض مصر والمندوب البريطاني (كرومر). ومع المحاولات السياسية التي استمرت بعد (هرتزل) بسنتين أخذ إذن رسمي للهجرة والاستعمار الكثيف، فقد ظلت تتعثر؛ فإن المنظمة الصهيونية أخذت تبذل جهودها لتحقيق مطامعها بدون ذلك الإذن، حيث توسعت في تهجير اليهود من شرق أوروبا ووسطها، وشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات، واستطاعت أن تصيب شيئًا من النجاح بمختلف الأساليب، حيث بلغ عدد المستعمرات التي أنشئت قبل وعد بلفور ٣٥ مستعمرة بين كبيرة وصغيرة وفي مناطق يافا وحيفا وطبريا

وصفد على نحو (٨٥) ألف هكتار، وبلغ عدد المهاجرين نحو سبعين ألفًا، بالإضافة إلى نحو (١٠٠٠٠) من السفاديم كانوا في فلسطين قبل الحركة الجديدة، وقد نظم المهاجرون الجدد لأنفسهم مستعمراتهم الخاصة كمجتمع يهودي مستقل بمحاكمه ومدارسه وبريده وطوابعه وحياته الخاصة ومجالسه وحراسة المسلحين، وبرز كيان شبه سياسي لا تخفى مطامعه البعيدة؛ ليكون العمل اليهودية باسم (العمل العبري)، ولما أعلن الدستور العثماني في تموز يوليو عام ١٩٠٨م وخلع السلطان عبدالحميد في نيسان إبريل ١٩٠٩م اشتد نشاطهم في توطيد أقدامهم وتوسيع حركتهم؛ مستغلين وجود أفراد من اليهود العثمانيين برزوا في جمعية الاتحاد والترقي التي كانت وراء إعلان الدستور وخلع السلطان ووجود عدد آخر بارز منها كانوا من المتظاهرين في الإسلام ينتمون إلى أصل يهودي، توصف طبقتهم بوصف الدولة إلى العائدين المرتدين.

ولقد بذلت المنظمة جهودها في سبيل إلغاء القيود السابقة على الهجرة والتملك للأراضي، واستطاعت أن تخففها حتى درجة الإلغاء بمساعدة اليهود والمرتدين البارزين في الاتحاد والترقي، كما استطاعت أن تشتري مساحات واسعة من الأراضي التي كانت في مليكة ملاك لبنانيِّين وأهمها مساحة واسعة من (فرج ابن عامر) من آل سرسق، وتطلعت إلى وضع

يديهـا على ما عرف بالأراضي المـدورة في غور بيسان والفارعة التـي كانت مساحتهـا تبلغ مئات الآلاف مـن الدونمات، ودفعت سمسـار لبناني اسمه نجيب الأصفر لبذل جهوده وأخذ الامتياز باسمـه بطريق الإعـارة، وسارت في سبيل ذلـك أشواطًا وإن لم يتحقـق مـا أرادت، ولقـد كان مـن صهاينة من يحـاول التعمية والخداع على مقاصـد البعيدة ويظهر الرغبة في حسن التعايش والتعامل والتفاهم مع العـرب، ويصور الحركة حركة بريئة من المطامع السياسية، ويظهر نشاطًا في سبيل تحقيق ذلك، في حين كان منهـم مـن يصرح بالمقاصـد البعيدة للحركـة من الهجرة والاستيطـان وبسط السلطات اليهودية نفوذها ليس في فلسطين فحسـب بل يمتد إلى مساحات واسعة مـن شرق الأردن وحوران والجـولان ولبنـان وسيناء بزعـم أنها وطنهـم التاريخي وأرض إسرائيل، وأنهم الأحق بها دون العرب، ويستهين بالعرب ويهتف بأنـه عليهم الرحيـل عاجلًا غير آجل من هـذه الأرض؛ ليقيموا فيهـا دولة لهم وحدهم، ولقد حاولوا التقرب من جمعية الاتحاد والترقـي بحجـة أنها مـن تقويتها لهـم ضربة للحركـة العربية القومية التي برزت بعد إعلان الدستور.

وفي الوقـت نفسـه حاولـوا التقـرب إلـى أركان الحركات القوميـة العربيـة لا سيما في مصـر بحجة أنهـم يستطيعون أن يعضـدوا حركتهـم دوليًّـا وماديًّا، كمـا أنهم قـادرون على دفع

البلاد العربية نحو الازدهار والرقي، وكانت هناك ردود فعل في البلاد العربية تتمثل في الإعلام والصحافة، وبالوقت نفسه يقوم اليهود بتوطيد أقدامهم وإدخال السلاح ووضع الحراسات على مستعمراتهم ومنشآتهم، لكن الأمر تفاقم ووصل إلى طرد أصحاب الأراضي الزراعية الفلسطينية منها والتي تم شراؤها من اللبنانيين، وعلى الرغم من أن هناك من العرب والمسلمين من كان يعي المؤامرة الكبرى ومستقبل الأوضاع وما ستؤول إليه، لكن قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م أدخل القضية الفلسطينية مدخلًا جديدًا؛ إذ ازداد نشاط اليهود وتحركاتهم نحو الدول المتحاربة، مقدمين الرشاوى لهذه الدولة والإغراءات لتلك والمساعدات للأخرى، وهكذا أستطاعوا أن يدخلوا أنفسهم بالحرب مع الدولة العثمانية بعدما تيقنوا سقوطها؛ ليجعلوا من ذلك ورقة تخولهم قبض ثمن المشاركة وهو توطيدهم بالأرض الفلسطينية، وفعلًا تمّ ذلك لهم عندما أصدر وزير خارجية بريطانيا وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، ويقضي هذا الوعد بمساعدة اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.